صوتي في المرآة

لست متأكداً، هل دقت الساعة مرتين؟ أم هل قرع الباب؟ هل فتحته أنا؟ المهم أني رفعت نظري عن الحاسوب، فرأيته أمامي، حيّاني، رأيت على أذنيه ما يشبه سماعة الطبيب، قلت هو طبيبي الخاص، جاء في الثانية بعد منتصف الليل، لا شك أن نوبة قلبية انتابتني، أو جاء قبل أن تنتابني، ولكن ما هو معلق في عنقه مجرد نظارة طبية مربوطة بسلسلة، هذا هو أخي، هكذا عادته يعلق نظارته في عنقه مثل قلادة، يحييني ويقعد أمامي، أهلاً بابن العم، قدمت له القهوة، تركت الحاسوب، صنعت له القهوة بنفسي، من الجميل في الزمن الصعب دعم القرابة بالمودة، صوته وهو يحدثني يشبه رئيس تحرير المجلة التي أعمل فيها، هل جاء ليطلب المقال الذي كنت أكتبه، موعدنا الحادية عشرة صباحاً، كرم منه مجيئه بنفسه، قدمت له كأس شاي، في وجهه تغيُّر، لونه مخطوف، كأنه يبيت أمراً، أعانقه، كالقادم من سفر، صديقي منذ أيام الجامعة، منذ عشر سنين لم ألتق به، أترك الحاسوب وأقعد إلى جواره، يقدم لي لفافة تبغ، أعتذر، وأنا أقول: أعرفك أيها الجار

الطيب لا تدخن، يقول اعذرني، أرقت، جافاني النوم، جئتك أستعير كتاباً، ويأخذ في الحديث، المعمل الكبير في جنوب المدينة سرق، كيف سرق؟ قد لا تصدق، جاء العمال في الصباح فلم يجدوه، برج المدينة الكبير، لم يتمكنوا من سرقته كله، هو كما تعرف من تسعة وعشرين طابقاً، سرقوا منه الطابق الأول، رأيتهم بعيني يمدون حبالاً من دخان إلى القمر، يريدون سرقته، يقول لي: لا تؤاخذني، أعرفك لا تنام، تمضي الليل كله في الكتابة، لذلك جئت إليك، أنا صديقك القديم، لم أجد ملجأ سواك، أعرف أنك لا تملك سوى هذه المكتبة، لذلك لا يطمع اللصوص بك، يضع النظارة على عينيه، هو أخي، أقول له اطمئن، يتغير لونه، يدنو مني، يحدثني بصوت عالٍ جداً عن السرقات، اختلاس ورشوة ونهب، يذكر أسماء أشخاص لا أعرفهم، أخاف من ذكر أسمائهم، يصرخ في داخل أذني وهو يتحدث عن مشروعات، سمعت عن بعضها وبعضها الآخر لم أسمع عنه، وضعت يدي على جيبي، يقول لي: ياصديقي، أنا ما جئتك لشيء، فقط أريد استعارة كتاب، أتسلى به قبل النوم، أدرك حق اليقين أنه الأنقى والأوفى والأصدق، أطمئن إليه الاطمئنان كله، أشعر بخدر لذيذ، أنا على الاستعداد للنوم مطمئناً في حضنه، يمد يده يريد مصافحتي، يده بعشرين كفاً، بمئة إصبع، يد واحدة بألف يد، أحس بوخز في

ظهري، شاشة الحاسوب تصبح فجأة بيضاء، لا شيء ألبتة، أين أنت أيها الجار الطيب، أسعفني، لماذا غبت عني أيها الطبيب الصديق، أنادي أخي، أصرخ، سيادة المدير أرجوك، أنهض، لا أرى المكتبة ولا الجدار، أمضي إلى السرير، كلهم نيام في سريري، أين زوجتي؟ أعرفها نامت قبلي، أتجه إلى الحمام، أنا عار، ولكن ليس ثمة عورة، وهذه مرآة،، ألمس سطحها الزجاجي البارد الناعم، أنا أراها، ولكن مالي لا أرى فيها صورتي؟